

المؤتمر العالمي الحادي عشر للوحدة الإسلامية

(45) - وإيا رسولاً لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، وإيا ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد أتانا الله بأفضل ما أتيت له (1). ومع ذلك كله فالتدرج هو المخيم على التشريع، خاصة فيما إذا كان الحكم الشرعي مخالفاً للحالة السائدة في المجتمع، كما في شرب الخمر الذي ولع به المجتمع الجاهلي آنذاك، فمعالجة هذه الرذيلة المتجذرة في المجتمع رهن طي خطوات تهذيب الأرضية اللازمة لقبولها في المجتمع. وقد سلك القرآن في سبيل قلع جذور تلك الرذائل مسلك التدرج، فتارة جعل السكر مقابلاً للرزق الحسن، وقال: **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**? (2). فاعتبر اتخاذ الخمر من التمور والأعنان - في مجتمع كان تعاطي الخمر فيه جزءاً أساسياً من حياته - مخالفاً للرزق الحسن، وبذلك ايقظ العقول. وهذه الآية مهدت وهيئت العقول والطبائع المنحرفة لخطوة أخرى في سيرها نحو تحريم الخمر، فتلتها الآية الثانية معلنة بأن في الخمر والميسر اثماً ونفعاً، ولكن اثمها أكبر من نفعهما، قال سبحانه: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْذَرٌ لِلَّذِينَ اسْتَأْذَنُوا وَلَئِنْ نِصَفْتَهُمَا مَا يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ** لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (3). إن هذا البيان وإن كان كافياً إلا أن جماهير الناس لا يقلعون عن عاداتهم _____ 1 - الطبرسي: العام الوري: 55 - 57. 2 - سورة النحل: 67. 3 - سورة البقرة: 219.